

مارالد موتسكي Harald Motzki

روايات بديلة حول تَشكُّل القرآن

ترجمة: د/ حسام صبري







المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بهارالد موتسكي؛

هارالد موتسكي، مستشرق ألماني، ولدعام ١٩٤٨م، حصل على الدكتوراه من جامعة بون الألمانية عام ١٩٧٨م، واهتمامه الأساس هو نقل الحديث في التراث الإسلامي.

له عدد من الكتب، منها:

-The origins of Islamic jurisprudence, 1991.

«أصول الفقه الإسلامي».

- Reconstruction of a Source of Ibn Isḥāq's Life of the Prophet and Early Qur'ān Exegesis: A Study of Early, 2017.

"إعادة بناء مصدر السيرة النبوية لابن اسحاق، وتفسير القرآن المبكّر:

دراسة للتقاليد المبكرة لابن عباس، ٢٠١٧».



مقدّمة (١):

تُعَد قضية نشأة القرآن وتدوينه وجمعه إحدى القضايا المركزية التي اهتمت بها الدراسات الغربية للقرآن منذ بداية نشأة وتكون هذه الدراسات وحتى الآن، فهي تمثّل أَحَد المحاور الرئيسة لعلاقة الاستشراق بالإسلام، وإذا كانت السردية التي تبنّتها الدراسات الغربية لتاريخ نشأة القرآن وجمعه وتدوينه ظلّت -إلى بعد انتصاف القرن العشرين- تتقارب بشكل كبيرٍ مع السردية الإسلامية التقليدية، إلا أنه ومنذ عام ١٩٧٠م ومع صدور كتاب «الدراسات القرآنية» لجون وانسبرو، قد تغيرت معالم الرؤية الغربية لهذا التاريخ وظهر ما يسميه موتسكى بـ(الروايات البديلة).

والنقطة المركزية في هذا التغيير هي ظهور تشكيك في مدى موثوقية المصادر الإسلامية ومدى قدرة المؤرّخ على الاعتماد عليها لبناء سردية عن تاريخ الإسلام وتاريخ القرآن، فقد أدى طرح وانسبرو وما اعتبره من أن المدوّنات الإسلامية مثل السيرة وغيرها هي مصادر تصلح للتحليل الأدبي لا

⁽۱) قام بكتابة المقدمة، وكذا التعريف بالأعلام وكتابة الحواشي والتعليقات الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي المؤلف بأن نصصنا بعدها بقسم الترجمات، وقد كانت حواشي موتسكي في نهاية المقال، إلا أننا آثرنا تضمينها داخل المقال ليتيسر على القارئ متابعة مراد الكاتب.

لتشكيل رؤية تاريخية موثوقة، إلى بروز ما يعرف حاليًا بـ(الاتجاه التنقيحي)، هذا الاتجاه الذي تابع التشكيك بصورة جذريّة في المدونة الإسلامية وتقرير عدم إمكان الاعتماد عليها في التأريخ للإسلام وعدد من القضايا المتصلة به، الأمر الذي أفضى إلى إثارة التساؤلات حول جملة من الأمور المهمّة من مثل تاريخ تشكّل القرآن، ولغة القرآن، وبناء القرآن من الناحية الأدبية، والسياق التاريخي والجغرافي لهذا النصّ، وطبيعة الجماعة المؤمنة به، وغير ذلك، وطبيعة التصوّرات التي يجب أن نتبناها إزاء تلكم الأمور وتشكّلها التاريخي.

وفي سياق مناقشة وبحث هذه التساؤلات المركزية من قِبَلِ الباحثين الغربيين نشأت (الروايات البديلة) التي هي عبارة عن رؤى هؤلاء الباحثين التي خلصوا إليها في إطار محاولاتهم تقديم تصوّرات علمية وإجابات لتلكم التساؤلات.

في هذه المقالة الوصفية، يستعرض موتسكي هذه الروايات البديلة التي أنتجها البحث الغربي، مركزًا على فرضياتها الرئيسة والقضية التي تركّز عليها ضمن هذه التساؤلات المذكورة سابقًا، والمناهج التي تنتهجها لمحاولة الإجابة عنها.

وجديرٌ بالنظر أننا قد طرحنا ملفًا متكاملًا حول الاتجاه التنقيحي عالجُنا فيه التعريف بهذا الاتجاه ورموزه وفرضياته ونشأته وموقف البحث الغربي منه...إلخ، كما نشرنا عددًا من المواد حول بعض هذه الروايات البديلة، إلا أن

هذه المقالة تأتي أهميتُها في أنها تتيح للباحث العربي معرفة مركّزة -وذلك من خلال أحد الأقلام الغربية - بعصارة ما أنتجته العقلية الغربية من رؤى حول الأسئلة التي فرضها ظهورُ الاتجاه التنقيحي الرافض لما تطرحه السردية الإسلامية حول هذه الأسئلة، وتقدّم له عرضًا بمصادر مهمّة؛ فموتسكي فضلًا عن استعراضه لهذه الرؤى الذي لا يخلو من عمق، فإنه يزيّل مقالته بملحق لأهم الدراسات والمقالات التي تناولت هذه النظريات تفصيلًا.

ولا شك فقد خضعت هذه النظريات والرؤى الغربية التي يستعرضها موتسكي في هذه المقالة لعددٍ من النقودات حتى من قبل بعض المستشرقين، وكنا قد ترجمنا عددًا من المقالات والدراسات حول بعضها والتي تساجل مرتكزاتها المنهجية، وقد أشرنا في الحواشي لبعض هذه الدراسات في المواضع المناسبة ضمن المقالة لتكون زادًا للقرّاء في معرفة جانب من الموقف الغربي نفسه حول هذه النظريات وكيفية تقويمه لها.





جاء العمل الذي قدمه فرديدريش شفالي ونقّح فيه تاريخ القرآن لتيودور نولاكه (٢) في جزأين نُشرا سنة ١٩٠٩ و١٩١٩ على التوالي ليبين وضع الدراسات الغربية حول نشأة القرآن في مطلع القرن العشرين. ثم جاء

(١) هذه الترجمة هي لمادة: (Alternative accounts of the Qur_a n's formation)، المنشورة في المدرجمة هي لمادة: (The Cambridge Companion to the Qur عام ٢٠٠٦.

وقام بترجمة هذه المادة: حسام صبري، مدرس بكلية اللغات والترجمة - قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، بجامعة الأزهر، شارك في ترجمة عدد من الكتب الدينية، وقام بترجمة عدد من البحوث، كما أن له العديد من الترجمات المنشورة على بعض المواقع الإلكترونية

(۲) تيودور نولدكه (۱۸۳۱ - ۱۹۳۰)، شيخ المستشرقين الألمان كما يصفه عبد الرحمن بدوي، درس عددًا من اللغات السامية: العربية، والعبرية، والسيريانية، وآرامية الكتاب المقدس، ثم درس -وهو طالب في الجامعة - الفارسية والتركية، وفي العشرين من عمره حصل على الدكتوراه عن دراسته حول «تاريخ القرآن»، وهي الدراسة التي قضى عمره في تطويرها، وقد صدر الجزء الأول من «تاريخ القرآن» في ۱۹۰۹، وعمل عليه مع نولدكه تلميذه شفالي، ثم صدر الجزء الثاني عن تحرير تلميذه فيشر عام ۱۹۲۰، وصدر الجزء الثالث عام ۱۹۳۷ عبر تحرير تلميذه برجستراسر ثم برتزل. كذلك درس نولدكه «المشنا» وتفاسير الكتاب المقدس أثناء عمله معيدًا في جامعة جيتنجن، له إلى جانب كتابه الشهير «تاريخ القرآن» كتب حول اللغات السامية، منها: «في نحو العربية الفصحى»، و«أبحاث عن علم اللغات السامية»، عمل أستاذًا في جامعة كيل ثم جامعة اشتراسبورج، كتابه «تاريخ القرآن» مترجم للعربية، حيث ترجمه: جورج تامر، وصدر عن منشورات الجمل، بيروت، ۲۰۰۸. (قسم الترجمات).

مونتجمري وات^(۱) ليقدم نسخة منقحة من كتاب مدخل إلى القرآن لريتشارد بيل^(۲)، نُشرت سنة ۱۹۷۰ ليعيد تقييم التصور الشائع آنذاك حول هذا الموضوع ويطرحه في ثوب جديد. وتكشف المقارنة بين العملين عن تطور ضئيل على مدار نصف قرن في الأفكار الرئيسة لهذين الكتابين. ومع ذلك فإن هذا الفاصل الزمني من الهدوء العلمي النسبي يتعارض بشكل صارخ مع العقود العاصفة التي تلته. فبداية من السبعينيات احتلّت قضية نشأة القرآن وتشكّله اهتمام

⁽۱) مونتجمري وات W. Montgomery Watt بريطاني، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أدنبرة بإسكتلندا إلى تقاعده عام ۱۹۷۹، من أهم المستشرقين المعاصرين في مجال تاريخ الدعوة والسيرة النبوية، ومن أشهر كتبه في السيرة؛ محمد في المدينة (۱۹۵۸)، والإسلام واندماج المجتمع (۱۹۹۸). والثلاثة مترجمة للعربية؛ فقد ترجم الأول: عبد الرحمن الشيخ، وصدر عن الهيئة العامة للكتاب عام ۱۹۹٤، وترجم الثاني: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ۱۹۸۵، وترجم الثالث: علي عباس مراد، وصدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط۱، ۲۰۰۹، وكذلك ترجم كتابه: "Muslim-Christian Encounters: Perceptions and Misperceptions, 1991" بعنوان: (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر)، ترجمه: عبد الرحمن الشيخ وصدر عن الهيئة العامة للكتاب عام ۱۹۹۸، كما ترجم مؤخرًا كتابه: « بالمون الوسطى المون الموسطى المون الوسطى المون الوسطى المون الرجمة والنشر، بيروت، ط۱، ۲۰۱۹. (قسم الترجمات).

⁽٢) ريتشارد بيل (١٨٧٦ - ١٩٥٢)، مستشرق بريطاني، أستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة، له اهتمام كبير بالقرآن؛ حيث كتب حول أسلوب القرآن ومتشابه القرآن، كما أنه اهتم لعلاقة القرآن وعلاقة النبي بالمسيحية، وكذلك قدّم ترجمة للقرآن الكريم (١٩٣٧ - ١٩٤١). (قسم الترجمات).



العلماء الذين انبروا لتفصيل القول وتنقيح الكلام مما أسفر عن نتائج تُلقِي بظلال الشكّ في أغلب الأحيان على ما سبق أن استقر في الأذهان؛ ولذا يمكن اعتبار سنة ١٩٧٠ علامة فاصلة في تاريخ البحث العلمي في هذا الصدد، ويكون كتاب مونتجمري وات نقطة انطلاق مناسبة لبيان التطورات الحديثة في هذا الشأن.

وتستعرض الصفحات الآتية بعضًا من هذه الروايات البديلة انطلاقًا من القضية الأساسية التي تعالجها كل رواية. ونركز في تصوير كل رواية على الفرضية التي قامت عليها والمناهج التي اتبعتها وما وصلت إليه من نتائج.



التأليف والنشأة والنصّ المعتمد:

ثمة إجماع على أنّ القرآن ظهر في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي في مكة والمدينة. ومؤلّفه محمد (ويرى المسلمون أنه ناقلٌ له) وقد أذاعه منجّمًا على مقاطع ثم أعاد ترتيبه وتنقيحه بصورة كبيرة، لكنه لم يجمعه في نسخة واحدة تامة قاطعة؛ وأن المصحف المعتمد الذي عُرف لقرون عدة لم يكن مجموعًا إلى ما بعد وفاة النبي بعشرين سنة حتى جاء الخليفة الثالث عثمان فأمر بجمع المادة القرآنية المحفوظة في الرقاع وفي الصدور لتكون المصحف الرسمي (۱). ويُعكّ اتساق الأسلوب في جميع أجزائه دليل أصالته. وتستند هذه الرواية التاريخية إلى أدلة من القرآن نفسه فُهمت في ضوء التراث الإسلامي، أي السيرة النبوية وما ورد من أخبار حول جمع القرآن بعد وفاة النبي (۲).

⁽۱) جدير بالنظر أن هذه الأفكار -كما هو بين- لا تعبر بشكل دقيق عن الرؤية الحقيقية للمسلمين إزاء القرآن؛ فالمسلمون يرون القرآن هو كلام الله الذي أنزله على النبي محمد، وأن النبي لم يتدخل في القرآن بأي صورة من صور التدخل وإنما بلغه وتلاه فقط بصورة منجمة خلال عدد من السنوات، وأن الإطار النهائي لنص القرآن تم بوحي من الله عزوجل (العرضة الأخيرة) ولم يكن للنبي دور إلا بلاغ النص لا غير. (قسم الترجمات).

W. M. Watt, Bell's Introduction to the Qur ān (Edinburgh: Edinburgh University (٢) .Press, 1970), chs. 2 and 3

وقد فنّد جون وانسبرو^(۱) جميع عناصر هذه الرواية في دراسة له بعنوان: الدراسات القرآنية؛ مصادر ومناهج تفسير النصوص المقدسة (١٩٧٧)، وأخرى بعنوان: البيئة الطائفية: مضمون وتركيب تاريخ الخلاص الإسلامي (١٩٧٨). وأثار وانسبرو الشكوك حول قيمة تحليل المصادر الذي يسعى إلى كشف الحقائق التاريخية وإعادة تركيب الأحداث التي وقعت بالفعل. وينطلق من فرضية ترى أن المصادر الإسلامية حول نشأة الإسلام، بما في ذلك القرآن والسيرة والحديث والتفسير والتاريخ، هي نتاج نشاط أدبي أو أدب روائي يعكس تاريخ الخلاص؛ ولذا من الضروري تحليل المصادر باعتبارها لونًا من ألوان الأدب، وفق مناهج النقد الأدبي، والنتائج التاريخية التي يتوصل إليها هي في أفضل حالاتها ناتج ثانوي لهذا التحليل الأدبي^(۱). وقد التزم وانسبرو في منهجه التحليلي أسلوب نقد الشكل المعمول به في دراسات الكتاب المقدس.

⁽۱) جون وانسبرو (۱۹۲۸م - ۲۰۰۲م)، مستشرق أمريكي، يعتبر هو رائد أفكار التوجه التنقيحي، وتعتبر كتاباته منعطفًا رئيسًا في تاريخ الاستشراق؛ حيث بدأت في تشكيك جذري في المدونات العربية الإسلامية وفي قدرتها على رسم صورة أمينة لتاريخ الإسلام وتاريخ القرآن، ودعا لاستخدام مصادر بديلة عن المصادر العربية من أجل إعادة كتابة تاريخ الإسلام بصورة موثوقة، ومن أهم كتاباته: «الدراسات القرآنية؛ مصادر ومناهج تفسير النصوص المقدسة» (۱۹۷۷م)، وقد نشرنا عرضًا لهذا الكتاب، كتبه: كارول كيرستن، وترجمه: هند مسعد، يمكن مطالعته ضمن مواد (الملف التنقيحي)، على قسم الاستشراق بموقع تفسير. (قسم الترجمات).

⁻J. Wansbrough, The sectarian milieu: Content and composition of Islamic salva (v) tion history (Oxford: Oxford University Press, 1978), pp. ix, 118–19, and his

ويشير وانسبرو إلى مجيء القرآن منجَّمًا فضلًا عن وقوع اختلافات متكررة في القرآن وفي غيره من الأنواع الأدبية المبكرة، بمعنى مجيء النصوص أو الروايات متماثلة في محتواها لكنها مختلفة في البنية أو الصياغة. وهذه الظواهر لا تدعم فكرة النص الأوليّ (أو الأصلي Urtext)، الذي نشأ من مؤلف واحد أو النص الذي تولَّت لجنة تنقيحه، وإنما تتضح هذه الظواهر بصورة أفضل إذا افترضنا أن القرآن نشأ عبر اختيار النصوص من مجموعة هائلة من الآثار المستقلة (١). ويطلق وانسبرو على هذه الأشكال القرآنية الأساسية لفظ المقاطع المختارة "pericopes" أو يسميها بالنظر إلى محتواها «العبارة النبوية (prophetical logia)». ومع ذلك لا يُقصد بالتسمية الأخيرة أن هذه النصوص مستمدة من شخصية محمد التاريخية؛ فإن العبارة النبوية المختلفة يمكن إعادة تركيبها عبر التحليل النقدي الشكلي الذي يميز بين: ١ - الأشكال التي يتم من خلالها التعبير عن الموضوعات القرآنية (أي: العبارة النبوية). ٢-

⁽۱) هذه الأسس التي بنى عليها وانسبرو وكذلك لولينغ كما سيأتي نقدها بعض المستشرقين وبينوا غياب أي أساس منهجي لها، يراجع مادة: مقارنة بين التحليل البلاغي والنقد التاريخي لجون وانسبرو وغونتر لولينغ؛ سورة العلق أنموذجًا، ميشيل كويبرس-ترجمة/ خليل محمود اليماني، ترجمة منشورة على موقع تفسير تحت الرابط التالي: https://tafsir.net/translation/53 (قسم الترجمات).

التقاليد الخطابية البلاغية التي يتم من خلالها ربط العبارات ببعضها وإبرازها في ثوبها. ٣- التقاليد المختلفة التي حفظت لنا هذه العبارات. ٤- الحواشي التفسيرية، والمماثلة اللغوية أو المفاهيمية (١).

يتميز محتوى العبارة النبوية بسمات أربع رئيسة، هي: العقاب، والآيات أو المعجزات، والطرد والإبعاد، والعهد والمشاق. وتعرض صورة توحيدية معروفة في الكتاب المقدس مما يوحي بأن الأشكال القرآنية للتعبير النبوي تسير وفق الأشكال الأدبية المعهودة. وقد فسّر وانسرو مجيء غالبية النصوص التي تحدثت عن التوحيد مفتتحة، أو في بعض الأحيان، مختتمة بالأساليب والصيغ الأدبية؛ بأن هذه المقاطع كانت في الأصل تقاليدَ وآثارًا مستقلة. ووظيفة هذه الصيغ والأساليب أن تجعل النصوص مناسبة للسياق الاجتماعي الذي يُساق فيه النص؛ بمعنى الاستخدام الخاص مثل الصلاة أو الدعوة والوعظ. كذلك فإن التقاليد الخطابية والبلاغية للقرآن مستمدة من الآثار اليهودية والمسيحية. وهذا الأمر -فضلًا عن الأسلوب الحجاجي للنصوص- يوحي بنشأتها في بيئة طائفية أو بمعنى أدق في مجتمعات عزلت أنفسها عن اليهو دية أو المسيحية بصورتها الشائعة. وهي بيئة يمكن تصورها بوضوح في بلاد الرافدين بدلًا من مكة والمدينة.

J. Wansbrough, Quranic studies: Sources and methods of scriptural interpretation (1)
.(Oxford: Oxford University Press, 1977), ch. I

كذلك فإن تحليل الروايات القرآنية التي يتشابه محتواها (وإن اختلفت التقاليد المتبعة فيها) قاد وانسبرو إلى القول بأنها تعكس مراحل مختلفة من البيان والتفصيل الأدبي، وأنها كانت في الأصل تقاليد مستقلة خاصة بمناطق بعينها، أدرجت في القرآن كما هي أو بتعديل بسيط. وتتجلى اختلافات المقاطع القرآنية في الأنواع الأدبية الأخرى مثل السيرة. وعند مقارنة التقاليد المختلفة، القرآنية وغيرها، يتضح مدى التطابق والشيوع، بل إن البنية السردية الممتدة للتقاليد غير القرآنية توحي بوجود تاريخ سابق لها مقارنة بنظيراتها القرآنية؛ ولذا يرى وانسبرو أن الروايات غير القرآنية التي استخدمها المفسرون المسلمون لتوضيح السور القرآنية القصيرة لا تصلح لبيان الخلفية التاريخية لها.

وهكذا فإن التحليل الذي اتبعه وانسبرو واعتمد فيه على منهج نقد الشكل قاده إلى القول بأن الرواية التقليدية حول نشأة القرآن والتي تجعل من محمد نقطة الوصل الرئيسة في نقله وأن المصحف الرسمي ظهر نتيجة جمع القرآن وتنقيحه بعد وفاته بوقت قصير، هي رواية تعتمد بشكل أساسي على المصادر الإسلامية ولا يمكن أن تكون صحيحة. وبالنسبة له فإن هذه المرويات ليست سوى قصص تسعى من خلال اتباع النموذج اليهودي إلى تحديد تاريخ لنشأة المصحف يعود إلى عصر صدر الإسلام. وتبدو له الفرضية التي ترى بأن ظهور المصحف قد استغرق مدة زمنية أطول، استمرت لعدة أجيال، أكثر رجحانًا. أمّا العبارات النبوية التي كانت في مجموعها مصدرًا لجمع المصحف، فقد تشكّلت العبارات النبوية التي كانت في مجموعها مصدرًا لجمع المصحف، فقد تشكّلت

على الأرجح عبر بناء شفهي في حين أن ظهور النص القرآني بصورته المعتمدة كان جهدًا أدبيًّا في المقام الأول(١).

ويرى وانسبرو أن ظهور القرآن في نسخته المعتمدة لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال قبل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ويستدل على ذلك بتطور الدراسات التفسيرية للقرآن. فيذكر في الجزء الأخير من كتاب الدراسات القرآنية أن بداية ظهور التفسير الفقهي، الذي يتخذ من القرآن مصدرًا له، قد واكب ظهور المصحف. وجدير بالذكر أن النتائج التي توصل إليها جوزيف شاخت حول تطور الفقه الإسلامي ودور القرآن في هذا التطور تميل إلى ترجيح هذا التاريخ المتأخر. ومع ذلك لا يعني هذا عدم وجود نصوص يُطلَق عليها (قرآن) قبل هذا التاريخ، وإنما المراد أن القرآن بصورته الرسمية المعتمدة، المجموعة في المصاحف، لم تكن قد ظهرت بعد (۲).

إذا ما قُبلت نظرية وانسبرو، فلا مجال لإثبات شيء من الوحي أو عن حياة محمد استنادًا إلى القرآن أو السيرة أو التفسير أو الحديث. وسوف يكون البحث عن الحقائق التاريخية في هذا النوع من الدراسات الأدبية لا طائل فيه ولا معنى له.

J. Wansbrough, Quranic studies: Sources and methods of scriptural interpretation (1)

⁽٢) المرجع السابق، ص٤٤، ١٧٠ - ٢٠٢.

جمع القرآن ومصحف عثمان ومصاحف الصحابة:

غالبية المتخصصين الغربيين في الدراسات الإسلامية لا يقبلون بالروايات الإسلامية حول جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي، ويرون أن التفاصيل التي تشتمل عليها هذه الروايات غير مقنعة. ومع ذلك يقبلون الروايات التي وردت في جمع المصحف في عهد عثمان رغم ما تشتمل عليه الأخبار من تفاصيل لا تخلو من إشكالات. والمصحف الذي جمع في عهد عثمان هو القرآن بصورته المتعارف عليها الآن من حيث رسم المصحف و بنیته.

وثمة قراءات مختلفة للمصاحف الأولى التي كانت في حوزة الصحابة وتخلص منها عثمان، لكن هذه القراءات نُقلت إلينا مما يدل على عدم وجود اختلاف كبير في المحتوى الفعلى للقرآن في الفترة التي أعقبت وفاة الرسول، واقتصر الأمر على عدم تحديد ترتيب معين للسور علاوة على بعض الاختلافات الطفيفة في القراءة (١). وكما ذكرنا من قبل فإن وانسبرو يرفض هذه الرواية دون دراسة متأنية للمصادر المتاحة لأنها مناقضة لنظريته حول نشأة القرآن. وثمة رواية بديلة تقوم على دراسة مفصلة للروايات محل الحديث أتى بها جون بورتون في كتابه حول جمع القرآن (١٩٧٧). وينطلق بورتون من

Watt, Bell's Introduction, ch. 3.(1)

فرضية، أخذها من جولدتسيهر وجوزيف شاخت، ترى أن الأحاديث لا تشتمل على حقائق تاريخية فيما يخص الزمان والأشخاص الذين تتناولهم، وإنما تعكس آراء علماء المسلمين اللاحقين الذين استدلوا بهذه الأحاديث على آرائهم. ويفترض بورتون أن أصول الفقه قد أدت إلى إبراز هذه الروايات التي تحكي تاريخ جمع القرآن. ويرى بورتون أن الروايات مستقاة من النقاشات التي وقعت بين علماء الأصول حول حجية القرآن والسُّنة، فضلًا عن قضية نسخ القرآن. وجميع الروايات التي تتناول مسألة جمع القرآن بعد وفاة محمد ما هي إلا تصورات فرضية وخيالات جيء بها لدعم آراء فقهية بعينها. ويرى بورتون أن القرآن لم يُجمع في عهد أبي بكر، ولا بأمر من عثمان.

ما السبب الذي دفع الفقهاء للقول بجمع القرآن أكثر من مرة، والزعم بأن القرآن بصورته الحالية هو نتيجة عملية تنقيح غير مكتملة للسور القرآنية في عهد عثمان؟ يرى بورتون أن الفقهاء احتاجوا إلى نص قرآني غير مكتمل نظرًا لوجود ممارسات فقهية مستقرة لم يكن لها سند من القرآن ولهذا كانت محل خلاف. ولإضفاء مشروعية على هذه الممارسات زعم العلماء أنها مستندة إلى أدلة من نصوص الوحي ليس لها وجود في القرآن بصورته التي كان عليها. وتفترض هذه الرؤية أن النبي مات دون أن تكون هناك نسخة حاسمة جامعة للسور القرآنية. ولتعزيز هذه الفرضية اختلق الفقهاء أخبارًا عن وجود عدد من النسخ القرآنية المختلفة قبل ظهور المصحف الرسمي في صورته المعتمدة، ثم حاولوا إثبات



وجود قرآن واحد فذهبوا إلى القول بأن القرآن جُمع في مصحف واحد في نسخة رسمية غير مكتملة بأمر من عثمان. وإذا كانت الروايات التي تحدثت عن وجود عدة مصاحف مختلفة مختلفة، فإن الحقيقة الوحيدة التي يمكن الوثوق بها من الناحية التاريخية أن القرآن كان موجودًا ولا يزال. ومع ذلك، لنا أن نتساءل، متى جُمع القرآن وفي أي عهد؟ يفترض بورتون أن القرآن بصورته التي نراها اليوم قد خلفه محمد نفسه (۱). ونظرًا لأن هذه النتيجة الأخيرة ليس صادرة حتمًا عن دراسة أجراها بورتون، فثمة سيناريوهات أخرى يمكن تخيلها (۲).

J. Burton, The collection of the Qur ān (Cambridge: Cambridge University (1) .chs. 1, 6–10 (1977 Press

⁽٢) للتوسع راجع: تدوين القرآن، تعليقات على أطروحتي بورتون ووانسبرو، غريغور شولر، ترجمة: حسام صبري، ضمن ترجمات ملف (تاريخ القرآن)، على قسم الاستشراق بموقع تفسير. (قسم الترجمات).



بنية السور القرآنية وظهور المصحف؛

وفقًا لما هو سائد في الدراسات القرآنية فإن القرآن تكوّن في الأصل من مقاطع قصيرة جُمعت فيما بعدُ على يد النبي لتصبح سورًا قرآنية أكثر طولًا. وبعد وفاة النبي فإن القائمين على جمع القرآن أضافوا إلى السور الأولية جميع المواد المتداولة باعتبارها وحيًا قرآنيًا، وإن لم تكن موجودة في أيّ مصدر. ويتضح من تغير الفواصل القرآنية المواضع المغايرة التي أضيفت في مرحلة ثانوية (۱). ولذا تُعَدّ السور وحدات نصية جُمعت فيها مقاطع قرآنية بطريقة أو أخرى بدلًا من أن تشكّل هذه المقاطع وحدات بنفسها.

وقد فنّدت أنجيليكا نويفرت (٢) هذا التصور في دراسة لها حول بنية السور المكية نُشرت سنة ١٩٨١. واستندت إلى فرضية ترى أن السورة الفردية هي

Watt, Bell's Introduction, pp. 38–9, 90–7, 111, 113. (1)

⁽٢) أنجيليكا نويفرت Angelika Neuwirth (٢) من أشهر الباحثين الألمان والأوروبيين المعاصرين في الدراسات القرآنية والإسلامية.

أستاذ الدراسات السامية والعربية في جامعة برلين الحرة، درست الدراسات السامية والعربية والفيلولوجي في جامعات برلين وميونيخ وطهران، عملت كأستاذ ومحاضر في عدد من الجامعات، مثل: برلين وميونيخ وبامبرغ، كما عملت كأستاذة زائرة في بعض الجامعات، مثل: جامعة عمّان بالأردن، وجامعة عين شمس بالقاهرة.

ترأست مشروع (كوربس كورانيكوم) منذ ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠.

ولها عدد من الكتابات والدراسات المهمة في مجال القرآن ودراساته.



الوحدة الشكلية التي اختارها محمد لنبوته (۱)؛ ولذا لا بد أن تكون هذه السور الفردية الأساس الاستكشافي لأيّ دراسة أدبية للقرآن، وليس القرآن ككل كما يروق لبعضهم، مثلما فعل وانسبرو (۱). وتعمد نويفرت في دراستها إلى تحليل السور المكية للكشف عن بنيتها التي اختارها النبي لها. ولأنّ الآية عنصر بنيوي مهم في السورة، فإن الخطوة الأولى في البحث الذي يهدف إلى تحليل بنية السور تتمثل في دراسة الأنظمة التقليدية المتبعة في الفصل بين الآيات.

من أهمها:

Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang, 2010 القرآن كنص من العصور القديمة المتأخرة، مقاربة أوروبية.

وقد ترجم للإنجليزية هذا العام فصدر بعنوان:

The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage, 2019 Studien zur Komposition der mekkanischen Suren, 1981

دراسات حول تركيب السور المكية.

Scripture, Poetry, and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text, 2014

النص المقدس، الشعر، وصناعة المجتمع: قراءة القرآن كنص أدبي. وهو مجموعة من دراساتها المترجمة للإنجليزية. (قسم الترجمات).

- (۱) للتوسع حول رؤية نويفرت عن السورة كوحدة أدبية قرآنية والنقود عليها من الناحية الأدبية، يراجع: (مساءلة التفسير البنيوي)، رايتشل فريدمان، ترجمة: أمنية أبو بكر، و(إعادة النظر في النوع الأدبي للقرآن)، ترجمة: أمنية أبو بكر، منشورتان ضمن الترجمات المنوعة على قسم الاستشراق بموقع تفسير. (قسم الترجمات)
- A. Neuwirth, Studien zur Komposition der mekkanischen Suren (Berlin/New (Y) .York: Walter de Gruyter, 1981), pp. 1–2

وباستخدام فواصل الآي وبنيتها تقترح نويفرت عدة تصويبات لنظام عدّ الآيات الكوفي المتعارف عليه في التراث الإسلامي.

وتتمايز الآيات القرآنية بالفواصل، ولهذه الفواصل وظيفة مهمة في بناء السورة. ولأن الفواصل القرآنية ووظيفتها الأدبية لم تحظ بدراسة مناسبة من قبل، فإن نويفرت في الخطوة الثانية تسعى إلى تحليل أنواع هذه الفواصل المختلفة ومجيئها وتطورها في الطبقات الثلاث للسور المكية التي تحدّث عنها نولدكه. وتذهب نويفرت إلى القول بأن تغيير الفاصلة أو تعديلها في هذه السور كلها تقريبًا يهدف إلى ترتيب تطور الأفكار من حيث الشكل. وتتجلى أهمية هذا الدور بشكل خاص في السور المكية الأولى التي امتازت بآياتها القصيرة.

يتنوع طول الآيات في القرآن، فتأتي قصيرة في السور التي ظهرت في المرحلة الأولى ثم تصبح أطول فأطول في الفترتين المكيتين الثانية والثالثة. ويمكن تحديد بنية الآيات والعلاقة بين الآية والمقطع بالنظر إلى قواعد التأليف والبناء؛ ولذا تدرس نويفرت الآيات وتفرّق بين أنواعها المختلفة وفق أطوالها. وتبيّن أن استخدام أنواع معينة من الآيات له تبعاته على بنية المجموعات الأكبر المؤلفة من هذه الآيات، وتؤكد على الدور المهم للعبارة الختامية في السور القرآنية حين تصبح بنية الآيات أكثر تعقيدًا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل هذه الآيات التي جُمعت معًا بطريقة منهجية لتشكل وحدات أكبر، تشتمل كل منها على محتوى معين أو موضوع

يختلف من وحدة لأخرى؟ ثانيًا: هل هذه الوحدات الأكبر حجمًا قد وُضعت معًا بشكل عشوائي أو مفكك لتشكّل سورة قرآنية أم أنها جمعت بعناية ودقة؟ وهنا أيضًا تكشف دراسة نويفرت عن أنواع مختلفة من هذه الوحدات بل ومن السور أيضًا، ولكل نوع بنية مماثلة.

وتصل دراسة نويفرت إلى نتيجة مفادها أن السور والأشكال الأدبية المختلفة فيها، تتألف من البداية من عناصر متناسبة بوضوح. وتزداد البنية القرآنية تعقيدًا ويقل تنوعها بمرور الوقت لكنها مع ذلك تكشف في معظم الأحوال عن تصميم مقصود. وفي الختام تقرر نويفرت أن النبي نفسه هو من وضع مجموع السور المكية بشكلها الحالي، ولا يمنع هذا وجود حالات عارضة لتنقيح متأخر. ويبقى من الضروري بحث مدى انطباق هذا الكلام على السور المدنية. والسياق التاريخي للسور المكية التي يمكن القول بأنها نصوص جاءت لهدف التلاوة والتعبد يمثل في الأرجح أول أشكال التعبد الإسلامي. فالسور التي تعود للفترة المكية المتوسطة والمتأخرة بما اشتملت عليه من مقدمات تناسب الأحداث التي سيقت لها توحى بأنها استُخدمت كعظات في الطقوس التعبدية للمجتمع الإسلامي المتنامي على غرار العظات والتلاوات اليهودية والمسيحية (١).

⁽۱) A. Neuwirth, Studien zur Komposition der mekkanischen Suren، في مواضع مختلفة.

وإذا سلَّمنا مذا الكلام فيما يخص السور المكية، فإن مقارنة التغييرات البنيوية التي شهدتها السور القرآنية بمرور الوقت (وانعكست في تصنيفها إلى ثلاث فترات مختلفة) تفسح المجال أمام نظريات تتحدث عن المراحل الأولى لظهور المصحف المعتمد، كما تتجلى في القرآن نفسه. وقد تتبعت نويفرت قضية «ظهور المصحف المعتمد» في العديد من دراساتها اللاحقة (١). وفي دراسة لسورة الحجر مثلًا ترى نويفرت أن بنية السورة ومحتواها يبيّن أنها نص مترابط بل و تستلزم و جو د مصدر أو مخزون لعدة سور أخرى ظهرت في وقت مبكر، ومنها الفاتحة التي تُعَدّ من النصوص التعبدية المبكرة. وفي الوقت ذاته تعكس سورة الحجر مرحلة مهمة في ظهور المجتمع الإسلامي: حيث ظهور شكل جديد من أشكال الطقوس التعبدية، يشبه ما عند البهود والنصاري، وينأي بالعقيدة الإسلامية عن الممارسات العقائدية التي كانت سائدة قبل الإسلام عند الكعبة (٢).

A. Neuwirth, 'Vom Rezitationstext über die Liturgie zum Kanon: Zu Entstehung (1) und Wiederauflösung der Surenkomposition im Verlauf der Entwicklung des pp. 'islamischen Kultus', in S. Wild (ed.), The Qur ān as text (Leiden: Brill, 1996) tions -69–105, and her 'Referentiality and textuality in sūrat al-h.ijr: Some observa in I. J. 'on the qurānic "canonical process" and the emergence of a community mond, -Boullata (ed.), Literary structures of religious meaning in the Qurān (Rich memory: Surrey: Curzon Press, 2000), pp. 143–72. See also her 'Qurān, crisis and pogonic -The qur ānic path towards canonization as reflected in the anthro in Islamic accounts', in A. Neuwirth and A. Pflitsch (eds.), Crisis and memory Gesellschaft, societies (Beirut: Orient-Institut der Deutschen Morgenländischen .2001), pp. 113–52

^{.&#}x27;Neuwirth, 'Referentiality and textuality (٢)



عصر ما قبل الإسلام:

ظلّت مسألة تأثر القرآن بالمصادر اليهودية والمسيحية محط أنظار الباحثين في الأوساط العلمية الغربية حتى العقد الثالث من القرن العشرين، ثم صارت فكرة عفّى عليها الزمن. ويذكر مونتجمري وات هذه المسألة في نهاية كتابه: (مدخل إلى القرآن) في الفصل الذي تناول فيه القرآن والدراسات الغربية، ويشير إلى أن دراسة المصادر والآثار فضلًا عن كونها دراسة مناسبة فهى تحظى بقدر معتدل من الاهتمام (۱). ويقترح أن دراسة كهذه لا تضيف الكثير لمحاولة فهم البنية النصية الجديدة في القرآن استنادًا إلى تصورات مبكرة.

وقد أثار غونتر لولينغ^(۲) الشكوك حول هذا الرأي في كتابه: (حول القرآن الأصلي) الذي نُشر سنة ١٩٧٤. وسار فيه على منهج استند إلى النظريات التي

Watt, Bell's Introduction, pp. 184–5 (1)

⁽٢) غونتر لولينغ، Günter Lüling، (٢٠١٤ – ٢٠١٤)، لاهوتي بروتستانتي ألماني، تركزت دراساته في بدايات الإسلام، حيث حاول إثبات فرضيته عن كون الإسلام تطور أصلًا عن نحلة لجماعة مسيحية كانت تسكن مكة، وأن القرآن هو تطور لاحق للتراتيل المسيحية المستخدمة من هذه الجماعة، له عدد من الكتب في هذا السياق، منها:

Kritisch-exegetische Untersuchung des Qur'antextes. Erlangen, 1970 دراسة تفسيرية نقدية للنص القرآني.

Über den Ur-Qur'an. Ansätze zur Rekonstruktion vorislamischer christlicher Strophenlieder im Qur'an. Erlangen: Lüling, 1974

تناولت تطور الأفكار الدينية في اليهودية والمسيحية، وتحديدًا فكرة تخلي كلا الدينين عن العقائد الأولية ونبذها. ويمكن إعادة اكتشاف هذه العقائد وإعادة تركيبها من خلال قراءة المصادر مرة أخرى قراءة متجردة بعيدًا عن العدسة المشوّهة للديانتين في تطورهم الأرثوذكسي اللاحق. ومن خلال التلاعب بالمصادر وليّ أعناق النصوص ألحق هذا التطور بالغ الضرر بهاتين الديانتين وبالثقافة الخاصة بهما^(۱). ويفترض لولينع أن الأمر ذاته حدث للدين الإسلامي. وثمة فرضية أخرى تُبنى عليها هذه الدراسة ترى أن شبه الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام كانت مرتعًا خصبًا للأفكار المسيحية، وبخاصة المسيحية وأن المسيحية، وأن المسيحيين كانوا منتشرين في شبه الجزيرة العربية، حتى في مكة، وأن جزءًا كبيرًا من الشعر الجاهلي انبثق من خلفية مسيحية.

أجرى لولينغ تحليلًا لعدد من السور (أو أجزاء منها) من السور المكية المبكرة وتساءل عن وجود مصادر مسيحية وراء هذه السور قد تكون أُخفيت بفعل القراءة والتفسير التقليدي. وبحث عن معاني محتملة للكلمات والآيات،

حول القرآن الأصلي، مقاربات لإعادة بناء التراتيل المسيحية قبل الإسلام في القرآن. (قسم الترحمات).

G. Lüling, Über den Ur-Qurān: Ansätze zur Rekonstruktion vorislamischer (1) christlicher Strophenlieder im Qurān (Erlangen: H. Lüling, 1974), pp. 176–485,401-12.

وبخاصة حين يكتنف الغموض المعنى التقليدي، وذلك بالعودة إلى الدلالات الأولية للكلمات أو معانيها في اللغات الساميّة التي يُحتمل أن تكون قد أثّرت في اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام. وإذا لم يسفر هذا الجهد عن النتائج المتوقعة، فيتجه إلى دراسة الرسم القرآني الصامت (المجرد)، بمعنى الكتابة الأصلية بلا نقط وإعجام، وذلك حتى يتسنى تمييز أيّ قراءة أخرى محتملة تضفي على الكلمات أو البنية النحوية للآية التصور المفترض عن أثر مسيحي يهودي، وتجعلها مناسبة للشكل الأدبي لهذا النص المسيحي المزعوم. ويزعم أحيانًا أن الرسم قد تغير قليلًا أو أن بعض العبارات قد أضيفت أو حذفت. ويبرر هذه التنقيحات التي شهدها النص القرآني على أساس نحوي أو صرفي أو أسلوبي أو من منطلق سياق تاريخي ديني.

وتوصلت دراسة لولينغ إلى النتائج الآتية: يشتمل النص القرآني في صورته التي نُقل بها عبر العصور على نص مسيحي يعود لعصر ما قبل الإسلام، ويشكّل طبقة أولية. وأجزاء من هذا القرآن الشعائري المسيحي موزعة في أنحاء القرآن كله. ويمكن إعادة تركيبها واستعادة معناها الأصلي. والقراءة الجديدة لهذه المقاطع تسفر عن نص أكثر إقناعًا ومنطقية من الناحية النحوية والصرفية مقارنة بالقراءة التقليدية. وكتب هذه النصوص المسيحية الأولية رجال دين مسيحيون عاشوا قبل محمد بقرنٍ من الزمان على أقل تقدير. وهي نصوص شعرية تشتمل على قافية وجاءت في مقطوعات شعرية مؤلفة من ثلاثة سطور. ولغة النصوص على قافية وجاءت في مقطوعات شعرية مؤلفة من ثلاثة سطور. ولغة النصوص

المسيحية الأولية الواردة في القرآن لغة أدبية رفيعة تختلف عن لغة الشعر الجاهلي وتتسق من الناحية النحوية مع اللغة العربية المسيحية المبكرة. ويرى لولينغ أن الطرق التي استخدمها المسلمون الأوائل لإعادة سبك هذه النصوص البدائية كانت إلى حد كبير نفس الطرق التي استخدمت لاستعادتها.

ووفق هذه النظرية فإن القرآن بصورته الحالية يتألف من نوعين من النصوص: ١- فقرات لها معنى مزدوج لأنها في الأصل نصوص مسيحية أُعطيت معنى إسلاميًّا جديدًا. ٢- مقاطع إسلامية أصيلة أضيفت إلى النصوص المسيحية. ويتشكل محتوى النصين من خلال مجموعة أفكار عن الوثنية الجاهلية بين العرب، تبنّاها المسلمون. ونظرًا لأن النصوص المسيحية الأولية اتخذت موقفًا معاديًا من المفاهيم الدينية الوثنية، فقد اتخذ قرآن المسلمين نغمة خفيفة مناوئة للمسيحية. ومن الخصائص الشكلية للقرآن هذا النظم المسجوع في حين أن النصوص المسيحية الخفية فيه كُتبت في صورة مقطوعات شعرية في الأساس. وعلاوة على ذلك فإن لغة القرآن ليست متسقة متجانسة بل يمكن تصنيفها إلى أربعة أنواع مختلفة: ١ - لغة أدبية رفيعة تتجسد في النصوص المسيحية. ٢- لغة مضطربة نجمت عن إعادة تفسير المسلمين للترانيم المسيحية. ٣- لغة الحواشي التنقيحية والتعليقات التي أضيفت إلى النصوص المسيحية الأولية بعد تنقيحها، وجاءت هذه الإضافات بلغة دارجة ريما تعكس طريقة محمد في الكلام. ٤- لغة المقاطع الإسلامية التي تجسد الجزء الأكبر

حجمًا وهي لغة أدبية لعلها أحد الأشكال المبكرة للعربية الفصحى. وربما جاءت هذه اللغة من الكتبة ونسّاخ القرآن الذين كتبوه بأمر من محمد.

وعليه، فإن القرآن حسبما يرى لولينغ هو نتاج مراحل عدة من المراجعة والتنقيح النصى. وتمثلت المرحلة الأولى في إعادة صياغة محتوى وأسلوب النصوص القرآنية المسيحية الأولية لتناسب هذه الوثيقة، وهو لون من ألوان الكريستولوجي القديم (علم اللاهوت المسيحي) غلّفه الحنفاء بغلاف عربي وثني. وكان الباعث على هذا التنقيح الرغبة في إيجاد اتجاه عربي توحيدي مستقل عن الطوائف المسيحية الموجودة بمكة وعن حلفائها السياسيين خارج شبة الجزيرة العربية. وقد بدأت هذه المرحلة من التنقيح قبل مجيء محمد بجيلين ثم أتم هو هذه المرحلة. أمّا مرحلة التنقيح الثانية للقرآن فقد وجدت بعد انتصار المسلمين على مشركي مكة المسيحيين (ووفق لولينغ، فإن هؤلاء من جعلوا المسيح شريكًا لله). وكان الباعث على هذا التنقيح الرغبة في الحد من وطأة اللهجة المناوئة للمسيحيين التي ظهرت في التنقيح الأول أملًا في استمالة مسيحيي مكة وسعيًا لإخفاء الأصول الحقيقية للإسلام بوصفه حركة مناوئة للمسيحيين ذات ميول عربية وثنية. ثم جاءت المرحلة الأخيرة في صورة تنقيح للقرآن كله ليتسق قدر الإمكان مع اللغة العربية الأدبية السائدة، وهي لغة الشعر. ومن المحتمل أن يكون هذا التنقيح قد بدأ في حياة النبي واستمر إلى ما بعد وفاته.

اللغة والقراءة:

وصف القرآن نفسه بأنه قرآن عربي^(۱). وشهد مطلع القرن العشرين نقاشًا حيًّا حول المراد تحديدًا من هذا الوصف. وثار سؤال حول نوع العربية التي تلا بها محمد القرآن. وفي عام ١٩٠٦ رأى كارل فولرز أن اللغة التي قُرئ بها القرآن في الأصل هي اللهجة المكية، وأن المسلمين الذين جاؤوا بعد ذلك تولّوا تنقيح النص ليتسق قدر الإمكان مع اللغة الأدبية للشعر العربي. ورفض كبار المتخصصين في العلوم الإسلامية نظرية فولرز ورأوا أن لغة القرآن لم تكن مجرد لهجة وإنما اللغة الأدبية للقبائل العربية، وإن كانت هناك بعض ملامح اللهجة المكية التي تجلّت مثلًا في التهجئة وقواعد كتابة القرآن. ولذا، هناك إجماع على أن القرآن قد قُرئ وكُتب باللغة الأدبية المكية المكية (۱).

وليس معنى هذا أن جميع الكلمات المذكورة في القرآن (عربية خالصة) أي مشتقة من جذور عربية. فقد حدد العلماء الغربيون عددًا من الكلمات المأخوذة من لغات أخرى، ومعظمها من المجموعة الآرامية السريانية للغات السامية. ونشر أرثر جيفري سنة ١٩٣٨ قائمة تضم ٣٢٣ كلمة تقريبًا بما يعادل

⁽۱) سورة يوسف: الآية ٢؛ سورة طه: ١١٣؛ الزمر: ٢٨؛ فصلت: ٣؛ الشورى: ٧؛ الزخرف: ٣؛ انظر أيضًا: سورة الرعد: ٣٧؛ النحل: ١٠٠؛ الشعراء: ١٩٥؛ فصلت: ٤٤؛ الأحقاف: ١٢.

Watt, Bell's Introduction, pp. 83-4. (7)

٤.٠٪ من إجمالي عدد كلمات القرآن (بما في ذلك أسماء الأعلام)^(۱). وقدر كبير من هذه الكلمات المستعارة من لغات أخرى موجود بالفعل في النصوص العربية الجاهلية ويمكن اعتبارها جزءًا من اللغة العربية قبل ظهور القرآن^(۱). وهذا معناه أن الكلمات المستعارة الموجودة في القرآن لا تتعارض مع الفرضية الشائعة في أن لغة القرآن هي في الأساس لغة أدبية قريبة من لغة الشعر الجاهلي، والشعر في عصر صدر الإسلام، وقريبة كذلك من النثر العربي الذي كُتب في العصر الإسلامي.

وقد كُتبت المصاحف الأولى بأسلوب الإملاء الناقص، أي بإهمال حروف العلة الدالة على المدّ، بل وبعض الحروف المتحركة، وبدون الإعجام الذي يميز الحروف الساكنة المتشابهة. (اللفظ العربي المستخدم للتعبير عن البناء الخطي للقرآن هو الرسم). وكانت هناك صعوبة بالغة في قراءة هذا الرسم، ويُعَدّ هذا من الناحية النظرية سببًا محتملًا لظهور القراءات والتفاسير المختلفة. ومع ذلك إذا نظرنا من الناحية العملية نجد أن الاختلافات الكبيرة في القراءة محدودة جدًّا لأن معرفة المسلمين بالقرآن قامت على الحفظ لا الكتابة، ولم

A. Jeffery, The foreign vocabulary of the Qur ān (Baroda: Oriental Institute, (1) .1938)

Watt, Bell's Introduction, pp. 84–5. (Y)

يكن الرسم إلا مجرد وسيلة مساعدة على الحفظ والاستذكار (۱). وقد انتقلت القراءة الصحيحة للقرآن من عهد النبي عبر القرّاء الذين حفظوا القرآن في الصدور. ومن خلال القراءة الشفهية تم تحسين الإملاء الناقص الذي ظهر في المصاحف المبكرة بشكل تدريجي على مر القرون الإسلامية إلى أن أصبح النص القرآني بالشكل الذي عليه الآن (۱).

وقد فنّد لولينغ هذا التصور كما مرّ معنا. ورفض القول بأنّ القرآن نص مستمد كلية من مؤلّف واحد (محمد) وأن لغة القرآن متجانسة. فالأجزاء الإسلامية الأصيلة وحدها هي القريبة من الفصحى. وفي إطار سعيه لإعادة تتبع النص المسيحي الأوليّ في القرآن نجده يقترح في بعض الأحيان أن الكلمات العربية لها معنى قريب من نظيراتها الآرامية أو العبرية عن معناها الحالي في العربية الفصحى، ويفترض أن اللغة العربية السائدة تأثرت بالآرامية، ثم باللغة الدارجة للمشرق الأدنى (1). ولولينغ مقتنع بأن النصوص القرآنية الأولية قد شهدت تغييرًا على يد محمد، والمسلمين من بعده.

Watt, Bell's Introduction, pp. 47–48. (1)

⁽٢) المرجع السابق.

Lüling, Über den Ur-Qur ān, pp. 30, 51–4, 91, 93, 113, 165, 192, 305, 382–4. (٣)

ويأتي كريستوفر لكسنبرج (اسم مستعار) (١) ليقدم أفكارًا شبيهة بل أكثر جرأة في دراسة له بعنوان: «قراءة آرامية سريانية للقرآن» (٢٠٠٠). وتنطلق هذه الدراسة من عدة أمور منها أن اللغة الآرامية السريانية كانت أهم لغة ثقافية وأدبية في المنطقة التي ظهر فيها القرآن. فالعربية لم تكن قد صارت بعد لغة أدبية، ولهذا استخدم العرب المتعلمون اللغة الآرامية السريانية في الأغراض الأدبية. ويوحى هذا بأن اللغة العربية الأدبية نفسها قد تطورت على يد العرب المتعلمين في سباق الثقافة الآرامية السريانية. وكانت غالبية هؤ لاء العرب من أتباع المسيحية وجلبوا معهم كثيرًا من الاستخدامات اللغوية الثقافية والدينية وأدخلوها في اللغة العربية. وفي ظل هذه المنطلقات افترض لكسنبرج أن القرآن بوصفه أحد الألوان الأدبية العربية المبكرة، لا بدله أن يعكس هذا التراث الآرامي السرياني، كما أنه فضلًا عن الكلمات الآرامية السريانية المستعارة، فإن العديد من العناصر المعجمية الصرفية والتراكيب البنيوية، التي عادة ما يعتبرها العلماء المسلمون والغربيون عربية أصيلة، هي في الأصل آرامية سريانية.

⁽۱) كريستوفر لكسنبرج، هو اسم مستعار لكاتب، أصدر عام ۲۰۰۰ كتابًا بعنون: (قراءة آرامية سريانية للقرآن؛ مساهمة في فكّ شفرة اللغة القرآنية)، وتحدّث فيه عن وجود نسخة مبدئية من القرآن (قرآن أصلي) كتب بلغة مزيج بين العربية والآرامية، وقد نشرنا عرضًا لكتاب لكسنبرج، كتبه فرنسوا دي بلوا، ترجمة: هدى عبد الرحمن النمر، يمكن مطالعته ضمن ترجمات ملف (تاريخ القرآن) على قسم الاستشراق بموقع تفسير. (قسم الترجمات).

وتركز الدراسة على الفقرات القرآنية التي يعتبرها العلماء الغربيون مبهمة يكتنفها الغموض، ولها تفسيرات متباينة عند المفسرين الأوائل. وتتضمن منهجية لكسنبرج اللغوية عدة خطوات: الأولى الرجوع إلى تفسير الطبري (ت. ٠ ١٦/ ٩٢٣)، ولسان العرب الذي يُعَدّ واحدًا من أهم وأبرز المعاجم العربية، للوقوف على المعنى المستخدم لهذه الكلمات الغامضة، وهل المعنى الذي اختاره المفسرون الأوائل يتفق مع السياق مقارنة بالمعنى الذي تفترضه أبرز الترجمات الغربية. فإن لم يصل إلى نتيجة، يتساءل حول وجود جذر معجمي مشترك في اللغة الآرامية السريانية يكون له معنى مختلف عن اللفظة العربية ويناسب السياق بصورة أفضل. فإن لم يصل إلى نتيجة، يعود لكسنبرج إلى رسم الكلمة بلا إعجام للوقوف على أيّ قراءة أخرى محتملة حال إعجام الكلمة تسفر عن لفظة عربية أو آرامية أو جذر أكثر منطقية ووضو حًا. فإنْ تعذر الوصول إلى نتيجة، يلجأ إلى ترجمة اللفظة العربية إلى اللغة الآرامية لاستنباط معناها من دلالة التعبير الآرامي السرياني. ومرة أخرى إذا لم تسفر هذه الخطوة عن نتيجة ملموسة، فإن لكسنبرج يتحقق من هذه المادة في المعاجم الأرامية العربية التي تعود للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بحثًا عن معاني للمفردات العربية غير المعروفة في مصادر اللغة العربية الكلاسيكية والحديثة عند المسلمين، ولكنها معلومة لدى علماء المعاجم المسيحيين. ثم تأتي

الخطوة الأخيرة التي تتمثل في قراءة اللفظة العربية وفق النظام الصوتي الآرامي السرياني، وهي عملية توصلنا أحيانًا وفق مزاعم لكسنبرج إلى معنى مفيد.

ويشكك لكسنبرج في وجود تقليد متبع لقراءة القرآن وتفسيره منذ زمن النبي؛ لأن بعض المصادر الإسلامية تنافي هذا الزعم. وطريقة الكتابة القرآنية للأسماء الآرامية توحي بأنها نُقلت نقلًا صوتيًا (النقحرة) من اللغة الآرامية السريانية؛ ولذا لم تكن تُنطق في الأصل وفق القراءة المتبعة على أساس القواعد الصوتية (اللاحقة) للعربية الفصحي، وإنما بالطريقة الآرامية (ومثال ذلك طريقة نطق جبريل وموسى فتنطقان جبرائيل وموشيه). ويقدم لكسنبرج نماذج للتعبيرات القرآنية التي لا تتماشى مع السياق عند قراءتها وفق قواعد العربية الفصحى، في حين يمكن ترجمتها بدقة إذا قُرئت بالآرامية السريانية. ويستنتج من هذا أن القرآن يشتمل على أشكال نحوية عربية، وكذلك آرامية سريانية، ولهذا لا يمكن فهم القرآن وتفسيره على أساس القواعد النحوية الخاصة باللغة العربية الفصحى وحدها.

يناقش لكسنبرج عددًا من نماذج المفردات التي يبدو منها أن النصوص القرآنية المكتوبة في وقت مبكر قد استخدمت الأحرف ذات السنّ لتشير إلى الباء والتاء والثاء والنون والياء في العربية الفصحى والمعاصرة، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل نجد في بعض الأحيان الألِف الممدودة تُكتب بجرة قلم

رأسية طويلة (١). ويرى أنّ كثيرًا من كلمات القرآن قرئت وأُعجمت بصورة خاطئة لأن القراء المتأخرين والنساخ لم يعرفوا هذا الاستخدام (للحرف ذي السن). وهذه الحالات وغيرها من نماذج الإعجام الخاطئ دليل في رأيه على عدم وجود تقليد مستقر مستمر في القراءة بعد وفاة النبي. فإن علماء المسلمين الذين جاؤوا في عصور لاحقة وكذا نسّاخ القرآن قد أعادوا النظر في قراءته وتفسيره على أساس النسخ المكتوبة.

ونجد لكسنبرج ينعم النظر في ترجمة وتفسير عدد من الآيات القرآنية وبعض السور القصيرة، ويقرر حدوث لبس في فهمها نتيجة تفسير كلمات بعينها من منظور المعجم الصرفي والقواعد النحوية للغة العربية الفصحى. ويؤكد أن التعامل مع هذه المفردات على أنها آرامية سريانية ومراعاة التعبيرات القرآنية يمكنه أن يكشف عن القواعد النحوية الآرامية السريانية، ويعطينا معاني منطقية. وقد توصل في حالات قليلة من خلال إعادة القراءة وفق هذه الرؤية إلى محتوى مسيحي.

⁽١) هذه الملاحظة تدعمها المخطوطات القرآنية المبكرة، انظر:

G.-R. Puin, 'Über die Bedeutung der ältesten Koranfragmente aus Sanaa (Jemen) für die Orthographiegeschichte des Korans', in H.-C. Graf von Bothmer, K.-H. Ohlig and G.-R. Puin, 'Neue Wege der Koranforschung', Maga-zin forschung (Universität des Saarlandes) 1 (1999), 37–40, on http://www.uni-saarland.de/verwalt/kwt/f-magazin/1-99/Neue Wege.pdf, esp. 39–40.

وتعزز النتائج التي توصل إليها التحليل الذي أجراه لكسنبرج من الفرضية التي انطلق منها في أن لغة القرآن خليط من اللغة العربية والآرامية. ولهذا الأمر مقتضياته في فهم الخلفية التاريخية، فلو أن القرآن قد نُشر بلغة قريش كما تقرر المصادر الإسلامية، ولو أن هذه اللغة ليست مجرد لهجة من لهجات العرب ولا اللغة الأدبية للشعر العربي، وإنما مزيج من اللغة الآرامية السريانية واللغة العربية فهمه قوم محمد من أهل مكة، فإن لكسنبرج يفترض -بناء على ذلك- أن مكة كانت في الأصل موطنًا آراميًّا. والحالات العديدة للمفردات القرآنية والعبارات التي ظلّت غامضة بالنسبة لعلماء المسلمين وقُرئت بصورة خاطئة توحي بأن معرفة اللغة التي تحدّث ما المكيّون في زمن محمد كانت قد اندرست بحلول الفترة التي شهدت بداية إعجام النص القرآني وتفسيره. ويرى لكسنبرج أن هذا حدث في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي؛ لأنَّ إعادة تركيب النص القرآني وتفسيره من جانب المسلمين قام على أساس اللغة العربية الأدبية التي سادت في هذا الوقت. وبناء على ذلك يفترض وجود فجوة زمنية مدتها قرن ونصف بين جمع القرآن ونشره أول مرة وبين عملية التنقيح الختامية التي اتخذ بها القرآن صورته المعهودة. وخلال هذه الفترة اقتصر القرآن على الصورة المكتوبة؛ ولذا لم يكن له دور كبير على ما يبدو في عقيدة المسلمين والمجتمع الإسلامي. ويرى لكسنبرج أنه لو كان الحال غير ذلك، لما وقع تغير وانقطاع في التقليد الذي سار عليه الناس في قراءة القرآن في عهد النبي.



ملاحظة ختامية:

إن الروايات البديلة التي وردت هنا حول نشأة القرآن جاءت دون تقييم لها. وهي جديرة بمزيد من البحث والدراسة للوقوف على جودة منهجها وقوة حجتها. ويمكن للقارئ الذي يجد في نفسه الرغبة في متابعة الأصداء العلمية لهذه الروايات البديلة أن يطلع على قائمة القراءات الإضافية الواردة أدناه.



قراءات إضافية:

Adams, C. J., 'Reflections on the work of John Wansbrough', in H. Berg (ed.), Islamic origins reconsidered: John Wansbrough and the study of early Islam, Special issue of Method and theory in the study of religion 9 (1997), 75–90.

Berg, H., 'The implications of, and opposition to, the methods and theories of John Wansbrough', in H. Berg (ed.), Islamic origins reconsidered: John Wansbrough and the study of early Islam, Special issue of Method and theory in the study of religion 9 (1997), 3–22.

de Blois, F., 'Review of G. Luxenberg, Die syro-aramäische Lesart des Koran', Journal of Quranic Studies 5 (2003), 92–7.

Böwering, G., 'Chronology and the Qur'ān', in J. D. McAuliffe (ed.), Encyclopaedia of the Qur'ān, 5 vols., Leiden: Brill, 2001–6, vol. II, pp. 316–35.

Brague, R., 'Le Coran: Sortir du cercle?' (Review of C. Luxenberg, Die syro-aramäische Lesart des Koran and of A.-L. Prémare, Les fondations de l'islam), Critique: Revue générale des publications françaises et étrangères 671 (2003), 232–51.

Burton, J., 'Collection of the Qur ān', in J. D. McAuliffe (ed.), Encyclopaedia of the Qur'ān, 5 vols., Leiden: Brill, 2001–6, vol. I, pp. 351–61.

______, The collection of the Qur ān, Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

van Ess, J., 'Review of J. Wansbrough, Quranic studies', Bibliotheca Orientalis 35 (1978), 353.

Gilliot, Cl., 'Deux études sur le Coran', Arabica 30 (1983), 16-37.

_____, 'Langue et Coran: Une lecture syro-araméenne du Coran', Arabica 50 (2003), 381–93.

Gilliot, Cl. and P. Larcher, 'Language and style of the Qur ān', in J. D. McAuliffe (ed.), Encyclopaedia of the Qur'ān, 5 vols., Leiden: Brill, 2001–6, vol. III, pp. 109–35.

Günther, S., 'Review of G. Lüling, Über den Ur-Qur ān', al-Qant.ara 16 (1995), 485–9.



Hopkins, S., 'Review of C. Luxenberg, Die syro-aramäische Lesart des Koran', Jerusalem Studies in Arabic and Islam 28 (2003), 377–80.

Ibn Rawandi, 'On pre-Islamic Christian strophic poetical texts in the Koran: A critical look on the work of Günther Lüling', in Ibn Warraq (pseud.) (ed. and trans.),

What the Koran really says: Language, text and commentary, Amherst, NY: Prometheus Books, 2002, pp. 653–710.

Jeffery, A., The foreign vocabulary of the Qur ān, Baroda: Oriental Institute, 1938.

Leemhuis, F., 'Codices of the Qur ān', in J. D. McAuliffe (ed.), Encyclopaedia of the Qur'ān, 5 vols., Leiden: Brill, 2001–6, vol. I, pp. 347–51.

Lüling, G., Die Wiederentdeckung des Propheten Muhammad: Eine Kritik am 'christlichen' Abendland, Erlangen: H. Lüling, 1981.

_____, Über den Ur- Qur'ān: Ansätze zur Rekonstruktion vorislamischer christlicher Stro-phenlieder im Qur'ān, Erlangen: H. Lüling, 1974; Eng. ed., A challenge to Islam for reformation: The rediscovery and reliable reconstruction of a comprehensive pre-Islamic Christian hymnal hidden in the Koran under earliest Islamic reinterpretations, Delhi: Motilal Banarsidass Publishers, 2003.

Luxenberg, G., Die syro-aramäische Lesart des Koran: Ein Betrag zur Entschlüsselung der Koransprache, Berlin: Das Arabische Buch, 2000; rev. ed. Berlin: Hans Schiler, 2004.

Madigan, D. A., The Qur'ān's self-image: Writing and authority in Islam's scripture, Princeton: Princeton University Press, 2001.

Motzki, H., 'The collection of the Qur'ān: A reconsideration of western views in light of recent methodological developments', Der Islam 78 (2001), 1–34.

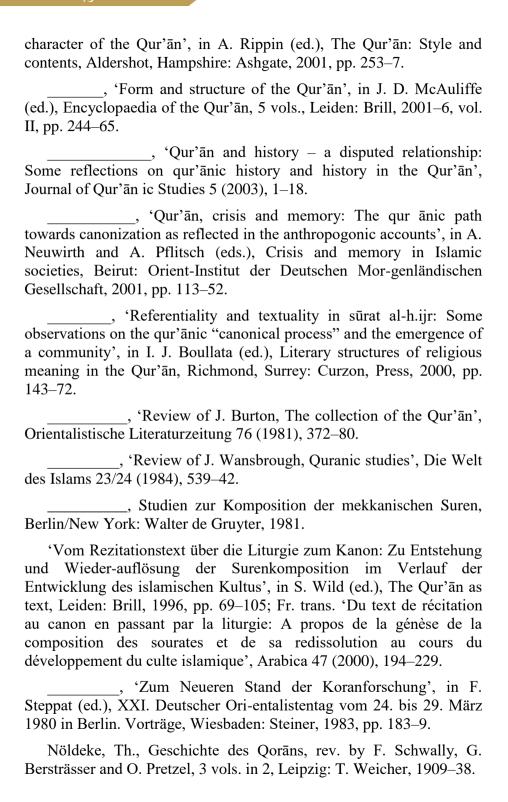
_____, 'Mus.h.af', in J. D. McAuliffe (ed.), Encyclopaedia of the Qur'ān, 5 vols., Leiden: Brill, 2001–6, vol. III, pp. 463–6.

Neuwirth, A., 'Einige Bemerkungen zum besonderen sprachlichen und literarischen Charakter des Koran', in W. Voigt (ed.), XIX Deutscher Orientalistentag vom 28. September bis 4. Oktober 1975 in Freiburg im Breisgau. Vorträge, Wiesbaden: F. Steiner, 1977, pp. 736–9; Eng. trans. 'Some notes on the distinctive linguistic and literary

روايات بديلة حول تشكُّل القرآن



ترحمات



Phenix, R. R./C. B. Horn, 'Review of C. Luxenberg, Die syroaramäische Lesart', Hugoye: Journal of Syriac Studies 6 (January 2003), on http://syrcom.cua.edu/ Hugoye.

Puin, G.-R., 'Über die Bedeutung der ältesten Koranfragmente aus Sanaa (Jemen) für die Orthographiegeschichte des Korans', in H.-C. Graf von Bothmer, K.-H. Ohlig and G.-R. Puin, 'Neue Wege der Koranforschung', Magazin forschung (Universität des Saarlandes) 1 (1999), 37–40, on http://www.uni-saarland.de/verwalt/kwt/f-magazin/1-99/Neue Wege.pdf.

Rippin, A., 'Literary analysis of Qur ān, tafsīr, and sīra: The methodologies of John Wansbrough', in R. C. Martin (ed.), Approaches to Islam in religious studies, Tucson: University of Arizona Press, 1985, pp. 151–63, 227–32.

_____, 'Review of A. Neuwirth, Studien zur Komposition der mekkanischen Suren', Bulletin of the School of Oriental and African Studies 45 (1982), 149–50.

______, 'Foreign vocabulary', in J. D. McAuliffe (ed.), Encyclopaedia of the Qur ān, 5 vols., Leiden: Brill, 2001–6, vol. II, pp. 226–37.

Robinson, N., Discovering the Qur'ān: A contemporary approach to a veiled text, London: SCM Press, 1996.

Rodinson, M., '[Fr.] Review of G. Lüling, Über den Ur- Qur'ān', Der Islam 54 (1977), 321–5.

Wansbrough, J., Quranic studies: Sources and methods of scriptural interpretation, Oxford: Oxford University Press, 1977.

______, 'Res ipsa loquitur: History and mimesis', Jerusalem: The Israel Academy of Sciences and Humanities, 1987 (Albert Einstein Memorial Lectures); repr. In H. Berg (ed.), Method and theory in the study of Islamic origins, Leiden/Boston: Brill, 2003, pp. 3–19.

______, The sectarian milieu: Content and composition of Islamic salvation history, Oxford:

Oxford University Press, 1978.

Watt, W. M., Bell's Introduction to the Qur ān, Edinburgh: Edinburgh University Press, 1970.

روايات بديلة حول تشكُّل القرآن



ترجمات

Welch, A., 'K.ur ān', in Encyclopaedia of Islam, new ed., 11 vols., Leiden: Brill, 1979–2002, vol. V, pp. 400–28.

Whelan, E., 'Forgotten witness: Evidence for the early codification of the Qur ān', Journal of the American Oriental Society 118 (1998), 1–14.

